الفصل التاسع

بدائع الفوائد

لا يوجد ملحدون في الخنادق

There are no atheists in foxholes

هذه العبارة قالها الرئيس الأمريكي السابق [أيزنهاور]، حيث إن الإلحاد يختفي في أوقات الكرب والشدة والكل يعود إلى الإيمان[1].

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله: «أحد الرفاق السابقين الفلسطينيين مع مجموعة من التروتسكيين حضروا إلى معسكر تدريب الفدائيين، وبادروا صديقي بالسؤال عن إطاره النظري ومنطلقاته الفلسفية ونقط ارتكازه العقلية، فاحتار صديقي ولكنه أخبرهم بأنهم في هذا المعسكر يؤمنون بالكفاح المسلح، ثم أضاف أنه يمكنهم أن يشاركوا بأنفسهم في عملية عسكرية في اليوم التالي، ثم أعد صديقي الماكر عدة سيارات لهم، وتقدم الموكب نحو منطقة جبلية، ثم بدأ الرصاص ينهال عليهم بتدبير سابق، وبطبيعة الحال لم يصبهم سوء ولكن كما أخبرني صديقي فقد تصرف التروتسكيون مثل أي بشر أي اختبئوا تحت السيارات، ولكن ما فاجأه هو أن كل واحد منهم بدأ يتلو أدعية دينية ويطلب العون من الله»[2].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/There_are_no_atheists_in_foxholes.

(2) رحلتي الفكرية، ص140.

ٱلْحَقِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 22 - 23].

الإلحاد هو موقف نفسي لا أكثر.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: 65].

نشأة الإلحاد

لا يوجد تاريخ محدد يمكن من خلاله إثبات بداية زمنية للإلحاد، فهو ظاهرة طفيلية عبر الزمان لا توجد لها جذور حتى عند السوفسطائيين اليونانيين القُدامى، وحتى [أبيقور] مؤسس مذهب المُتعة ومؤسس المدرسة الأبيقورية المُنحلة عاش عيشة متقشفة، وكان رواقيًا ساميًا في أخلاقه، عاش ومات على مذهب أهل الأديان في تبني الأخلاق، وترك الانغماس في الملذات واتخذ زوجة ومزرعة وعاش بما تُدره عليه دروس العلم التي كان يُلقيها لتلامذته، وحتى فولتير أول المُلحدين والأب الروحي للإلحاد كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه، وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدامه ويخشى على خدامه من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة: «لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي».. ، بل وقام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها «يا رب اذكر عبدك فولتير»، وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة[1].

فالإلحاد كفلسفة مُستقلة لا توجد له جذورعبر كل التاريخ ولذا يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: «لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد».

ويقول [ول ديورانت] في كتابه قصة الحضارة: «ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين

(1) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد 38 صفحة 214.

ظاهرة تعم البشر جميعًا اعتقادًا سليمًا، وهذه في رأي الفيلسوف حقيقة من الحقائق التاريخية والنفسية» [1].

أما في بلادنا الإسلامية فلم يوجد ملحد واحد في تاريخ الإسلام كله، أما ما يُروى عن ابن الراوندي وابن المقفع وابن سينا وأبو حيان التوحيدي وغيرهم فعلى قلتهم الشديدة لم يكونوا ملحدين الإلحاد الاصطلاحي المعاصر، وإنما كانوا أتباع فلسفات باطنية كما أوضحنا فيما سبق، بل ويؤكد تاج الدين السُّبكي في كتابه طبقات الشافعية أن أغلب هؤلاء أئمة مجتهدون لهم وعليهم.

وفي عصرنا الحديث يصعب بشدة ضبط تاريخ محدد لظهور الإلحاد المُعاصر، لكن أغلب المؤرخين الغربيين يؤرخون لبداية الإلحاد في أعقاب هدم سجن الباستيل سنة 1789م مع بداية الثورة الفرنسية، وظهر فعليًّا على الساحة العالمية بوصول البلاشفة للحكم في روسيا في أعقاب ثورة 1917 م، لكن بقليل من الإنصاف سيظهر لنا أن البلاشفة بالفعل كانوا ملحدين وحاربوا الدين حربا شعواء، وتبعًا لمجلة التايم في عددها الصادر يوم 11956، فإن عدد الكنائس تقلص في الاتحاد السوفيتي من 46 ألف كنيسة سنة 1917 إلى 4 آلاف كنيسة سنة 1956، إلا أن البلاشفة الشيوعيين لم يكن إلحادهم إلحادًا علميًّا أو فلسفيًّا أو فكريًّا بقدر ما كان إلحادًا سياسيًّا، فالدين من منظور ماركسي هو أحد البنى الفوقية بما في ذلك الفِكر والاجتماع والسياسة والتقاليد والقيم، بينما الإقتصاد هو البنية التحتية الوحيدة للمجتمع الماركسي، وكل البنى الفوقية هي انعكاس لهذا البناء التحتي، ولا توجد بنية فوقية واحدة مُستقلة، وهذا يعني أن الدين عامل عارض يتم إزالته في مرحلة لاحقة حتى ينفرد العامل الإقتصادي بإدارة الأمة الماركسية، ولذا فأغلب إحصاءات أعداد الملحدين حول العالم هي إحصاءات مزيفة وغير دقيقة بالمرة؛ لأن أي دولة تُعلن الحُكم الإشتراكي يتم تحويل عدد سكانها في جداول البيانات من خانة الدين إلى خانة الإلحاد، وهذا ما ذهب إليه [صامويل هنتنجتون] في كتابه صدام الحضارات إذ يقول في ص108» يُشكل الصينيون حوالي 92 % من الملحدين حول العالم فمع مجيء الشيوعية إلى الصين تم تحويل كل أصحاب الديانات الأرضية إلى لادينيين، في كل الدراسات الإحصائية لأصحاب الأديان في العالم». وهذا تحويل قسري غير موضوعي بالمرة.

(1) قصة الحضارة، م1، ص96.

ولذا يرى المؤرخون أنه بناءًا على هذه الفكرة فالإلحاد انتهى بصورته المؤسسية من العالم مع انهيار الإتحاد السوفيتي سنة 1989 م.. فالفترة بين عامي 1789 م و1989 م يمكن اعتبارها العصر الذهبي للإلحاد The Twilight of Atheism، إذن الإلحاد في الأصل فلسفية طفيلية بلا جذور أغلب أبعاده سياسية مجردة، ولذا فالملحدون إلى الآن يتم تصنيفهم في أمريكا على أنهم أكثر الطوائف تعرضًا للاضطهاد، وبحسب بحث استقصائي على مدار عامين قامت به جامعة مانيسوتا الأمريكية فإن الملحدين هم الأكثر اضطهادًا في أمريكا، ويفوقون في ذلك الشواذ جنسيًّا والمسلمين المتطرفين[1].

وأمريكا أقوى دولة علمية في العالم ما زالت تصنف الملاحدة على أنهم غير مقبولين في المجتمع الأمريكي، وكان هذا واضحًا جدًّا في الكلمة التي قالها [جورج بوش] الأب حين سألة صحفي أمريكي في عام 1987: «هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساويًا في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان، وأصبح رد السيد بوش مشهورًا حين قال: «لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنون أو حتى اعتبارهم محبين للوطن هذه أمة موحدة تحت راية الله». Atheist cannot be considered as patriotic citizen

وطبقًا للواشنطون بوست في بحث آخر مستقل:«فإنه على الرغم من حصول الشواذ جنسيًّا على بعض الحقوق، ونالوا بعض الاحترام من المجتمع الأمريكي ما زال الملحدون الأمريكيون يمثلون أكثر فئات أمريكا احتقارًا وكراهية بسبب ما يبدونه من انعدام للأخلاق وعدم الثقة ورعونة في مبادئهم فإن المجتمع الأمريكي سريعا ما يلفظهم، ويتردد كثيرًا الأمريكيون في إقامة علاقة مع ملحد أو مجرد تولي منصب وظيفي أو حتى المشاركة في فرق الكشافة الشبابية خاصَّة لما يبدونه من صفات عدم تحمل الأمانة في اختبارات التأهيل العسكري الذي تُجريه المؤسسات النفسية العسكرية بأمريكا».[2].

ولذا يرى [جون لوك] مؤسس الدولة المدنية في رسالته في التسامح أن الملحد غير مقبول في

(1) http://newsjunkiepost.com/2009/09/19/research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority/

(2) http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/ 2011/ 02/18 /AF qgnwGF_story_1.html.

المجتمع المدني يقول: « لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله.. فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة الى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء» [1].

ختامًا فالإلحاد شذوذ فكري طارئ لا تقبله النفوس السوية ولا العقول السليمة.

الماركسية على المحك

قامت الماركسية على مُصطلح الاستغلال مقصورًا على معناه الأخلاقي، وهو مصطلح غارق في الميتافيزيقية - مصطلح ملوث ميتافيزيقيًا-، حيث ترى الماركسية أن أصحاب وسائل الإنتاج يستغلون العمال، وهنا يتبادر للذهن إشكالٌ خطير وهو ما المانع المادي من الاستغلال؟

هل ثمة مانع طبيعي أو داروينى أو بيولوجي يمنع من الاستغلال؟

هل ثمة قانون فيزيائي في الطبيعة يمنع من الاستغلال؟

إذن لا يمكن نقد الاستغلال إلا من منطلق ديني ميتافيزيقي ما ورائي مجرد.

عندما قرر ماركس أن الدين هو إحدى البنى الفوقية - محاولة إزالة الدين من المجتمع- كان لا يدري أنه بذلك يضع الماركسية كلها على المحك.

الاستغلال في صورته الرائقة هو عنصر من عنصري الخير والشر و إعطاء كل ذي حقٍ حقه هو العنصر الآخر.

أفكار الخير والشر، أفكار الاستغلال و إعطاء كل ذي حقٍ حقه، هذه أفكار لا وجود لها في عالم مادي بيولوجي داروينى.

يقول [إليوت] في روايته الأرض الخراب:» إذا لم تتخذ لنفسك إلها فلابد أن تُقدم احترامك لهتلر أو ستالين».

يقول [جون لوك]: «إذا لم يكن إله ولا دين فليس غريبًا ولا مجافيـًا للواقع أن تعيث في الأرض فسادًا ولو على حساب الآباء والأبناء».

(1) جون لوك، رسالة في التسامح ص57.

إذن محاربة الإستغلال في المفهوم الماركسي لا يمكن استيعابها ولا يمكن إدخالها عنوةً في الأدبيات الماركسية؛ لأنه لا مانع مادي أو بيولوجي أو داروينى من الإستغلال.

لهذه الأسباب فشلت الماركسية، وأيضًا لهذه الأسباب اعترف رئيس روسيا السابق [بوريس يلتسن] في خطبته الشهيرة في موسكو في أول يونيو 1991: «لم تكن بلادنا سعيدة الحظ، فقد تقرر تجربة الماركسية فينا، ودفعَنا القدر في هذا الاتجاه فبدلًا من اختيار بلد ما في أفريقيا لهذا، شرعوا في إجراء هذه التجربة فينا نحن، غير أننا في النهاية أثبتنا أنه لا مكان لهذه الفكرة فقد دفعت بنا بعيدًا عن الطريق الذي انتهجته دول العالم المتحضرة، وهو ما تعكسه حقيقة أن أربعين في المائة من الشعب يعيشون تحت خط الفقر، بل ويعانون مذلة دائمة إذ لا يتلقون السلع إلا بعد إبرازهم بطاقات التموين، إنها مذلة دائمة تذكرك في كل ساعة بأنك عبد في هذه الدولة».

لقد فشلت الماركسية على المستوى التنظيري، وفشلت على المستوى التطبيقي، وهذه نهاية حتمية لكل مدرسة فلسفية تتنكر للدين؛ لأنها بذلك تقرر ذاتية الهدم لأيديولوجيتها وتطبيقاتها المادية.

الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان

الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان والحجة الأولى والأكبر لأهل الإيمان، والتي يحق لنا أن نحتج بها كل يوم على بني لحدان.

في البداية الأخلاق نوعان:

أخلاق مصلحية منفعية أنانية مادية، وهي تسمى أخلاق المجتمع - أُعاملك بأدب كي تعاملني بأدب - وهذه تسمى أخلاق النفاق وهذه ليست الأخلاق الأصيلة التي يؤسس لها الأخلاقيون - أنبياء ومصلحين -، عبر كل العصور والأزمان.

وهناك النوع الثاني من الأخلاق وهذه تسمى الأخلاق الأصيلة، وهي الأصل والأساس وهي تأتي ضد المصلحة الشخصية.. أخلاق غير مربحة عمليًّا... ضد المادة.. ضد العقل.. لم يتم الرهنة عليها عمليًّا أو عقليًّا إلى يومنا هذا، مثل أخلاق الزهد والتبتل والتضحية، والعمل الأخلاقي غير المقترن بفائدة مادية أو رياء أو منفعة شخصية.

هذا النوع الثاني من الأخلاق لا وجود له في العالم الإلحادي، بل إن وجوده أو الاعتراف بوجوده هو أكبر ضربة يمكن توجيهها للفكر الإلحادي على الإطلاق، يقول [نيشه] في كتابه هكذا تكلم زرادشت:- «اقهر الضعفاء، اصعد فوق جثثهم.. هكذا تكون ابن الطبيعة»، فالإنسان من منظور مادي أرضي هو كائن عضوي ذو ثلاثة أبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده، يسري عليه ما يسري على الظواهر الطبيعية، فهو شيء بين الأشياء يمكن دراسته في إطار دوافعه الاقتصادية والمادية فحسب، وبالتالي فإن أي حديث عن الأخلاق من النوع الثاني هو ضرب من القول بالميتافيزيقيا، وإدخال عناصر غير مادية على النموذج الإلحادي المادي المُجرد.

فالأخلاق تمثل ثغرة في النظام الطبيعي، تمثل تمردًا على قوانين المادة..، وعندما دخل الإنسان الأول إلى التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل كان في هذه اللحظة يؤكد على أصالة ظهوره وتمرده على الطبيعة التي نشأ منها، وصار هو المركز والطبيعة هي الهامش، وصار سموه وترفعه وحريته قيمًا دينية مجرده لا يمكن بحال ردها إلى النظام المادي المجرد.

فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني؛ ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات داروين العضوية، أو حتميات دوركايم الإجتماعية. هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبِّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشِّر في العلوم الطبيعية والمؤشِّر في العلوم الإنسانية.

يقول عالم الأحياء [باجميلز] في بحث متخصص عن السلوك الجنسي لدى البشر عبر التاريخ: «على العالم الغربي أن يتعلم كثيرًا من أخلاق البدائيين ومبادئهم، في العلاقات الجنسية حتى يتسنى له الرقي الأخلاقي الحقيقي»[1].

فالأخلاق تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة، فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق، والله خلقها كاملة؛ لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وهذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

في عالم الطبيعة توجد الأشياء وجودًا موضوعيًّا، فالأرض تدور حول الشمس، والشمس بدورها تتحرك. هذه حقائق، أما في عالم الأخلاق فكم من أشياء فعلناها وكنا لا نريد أن نفعلها

(1) Bagemihl, p. 5.

وكم من أشياء وددنا أن نفعلها ولكن لم نفعلها أبدًا..!! إذن هناك عالمان عالم القلب وعالم الطبيعة هذه العلاقة بين الإرادة والفعل تعكس التناقض المبدئي بين الإنسان والعالم..!!

و إذا ارتكب إنسانٌ جريمة وأصَرَّ على أنه فعلها بدون قصد.. هنا يسعى كل محامي لإثبات عدم القصد مع أنه بالمنظور المادي والعقلي الجريمة وقعت وانتهت على أرض الواقع، والمجرم أيضًا معترف أنه ارتكبها، لكن يتدخل القانون لمعرفة القصد والنية ومعرفة حالة النفس أثناء ارتكاب الجريمة هل بقصد أم لا؟ وهنا نضع النفس في مركز أعلى من الحقائق أعلى من الواقعة المادية المجردة، فنحن في الحقيقة لا نحكم على ما حدث في العالم لكن نحكم على ما حدث داخل النفس..، فالإنسان ليس مُفصلا على طراز داروين..!!

فالأخلاق ثغرة في نظام الطبيعة المادي ثغرة معرفية، وثغرة زمانية، وثغرة قيمية، وثغرة عقلية..، فالأخلاق عقليًّا غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها، وقد تساءل [ماندفيل] Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي: ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري؟ وأجاب ببساطة: لا شيء بل لعلها تكون ضارة.

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقليًّا إلى الآن، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية ترًّا، وقد ظهرا سويًّا مع الإنسان، كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق التي يحملها.

والإله هو الشرط الوحيد لسمو الإنسان وحريته وأخلاقه ومبادئه وقيمه، فالأخلاق الأصيلة تستمد قيمتها من عالم آخر؛ عالم لا علاقة له إطلاقا بعالمنا المادي المجرد، وبدون هذا العالم الآخر تتحول الأخلاق إلى مجرد لغو فارغ، ووهم يستحيل أصلًا التنبؤ بوجوده لعدم وجوده! فما بالنا وهو موجود بل وحتى أعتى الملحدين يدعي أنه على أخلاق، وهو بذلك ودون أن يدري يُسقط المنظومة الإلحادية بأكملها.

حتى فولتير الملحد أنشأ كنيسة لخدامه على نفقته الخاصة خوفًا على أخلاقهم..

فولتير أشهر ملحد عبر كل العصور كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدامه، ويخشى على خدامه من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة: «لو لم يكن هناك إله لخانتني

زوجتي وسرقني خادمي.»، بل وقام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها «يا رب اذكر عبدك فولتير» وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين، وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة[1].

إن فولتير عاش دهرًا من الزمن 84 سنة، كان في شبابه ملحدًا حاقدًا على كل دين، ومع الوقت اكتشف أنه لا رادع للبشر إلا الأخلاق في إطار ديني واكتشف مصائب الإلحاد.

فالإلحاد قارب أن يجعل من الإنسان أحقر حيوان - والكلام للملحد ول ديورانت -، وفولتير عانى من إلحاده خاصة خلال علاقته الطويلة بمدام [دي شاتيليه]، وكانت علاقته بابنة أخته شائنة مخزية- فهذا هو الإلحاد بلا مكياج -.

ثم ماذا عن الماركيز دي ساد؟ لقد أوضح دي ساد أنه لو لم يكن هناك إله لكان كل شيء مباحًا، فلو لم يكن هناك جنة ونار فليس ثمة معنى في أن نكون طيبين لنسيء إلى ملذاتنا، إذا لم يكن هناك إله فليس هناك خير ولا شر بل هناك فقط ضعفاء وأقوياء والضعف هو الشر، لقد كان الماركيز دي ساد منظومة كاملة من الإلحاد العملي في شهوانيته وفجوره.

إن الإلحاد هو طوفان فاجر في أزمان الكفر وأرضه، ونهايته الحتمية هي تقويض أركان النظام الأخلاقي وانهيار الأمم[2].

الجولف والإلحاد

لماذا كان [ماو تسي تونج] رئيس الصين الملحد يُحرِّم رياضة الجولف في الصين طوال فترة الحكم الإلحادي للصين 1949 - 1976؟

وكان يعتبرها رياضة غير أخلاقية بالمرة...

رجال يضربون كرة بيضاء بمضرب خاص، على النجيل الأخضر، ما الإيحاء في اللعبة الذي حولها إلى لعبة غير أخلاقية طوال حكم ماو؟

(1) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد 38 صفحة 214.

(2) قصة الحضارة ول ديورانت، المجلد 38، ص27 276.

يزعم المتأخرون أن ماو كان ضد البذخ، لكن الرئيس الحالي للصين ضد البذخ أكثر من ماو، ومع ذلك الصين الآن بها أكبر ملعب جولف على مستوى العالم.

كل هذه أمور غير مُقلقة، المقلق في الأمر، هو كيف تكتسب القيمة في المنهج الإلحادي اتجاهًا سلبيًّا، أو اتجاهًا إيجابيًّا، ومتى تتحول المباحات إلى محرمات أو واجبات؟

ما الحيز الفاصل، وما المعاملات التي تُحول أحد المباحات إلى شيء ممنوع أو مرغوب؟

وما معنى القيمة في المنهج الإلحادي؟ ومن أين تستمد إطارها الأخلاقي؟

ثم إنَّ استخدام مصطلح الواجب والمُحرم مقصورٌ على معناه الأخلاقي والإنساني في إطار فكرة الخير والشر، هذا يعني أن الشر يمكن إزالته، وهذا يؤدي إلى الغائية ومطلقية القيمة والاختيار الحر للإنسان.

يبدو أن الملحد يستحيل أن يكون حيوانًا كاملاً، حتى لو أراد ذلك من كل قلبه.

هل الملحد شخص يمكن التعامل معه في الحياة اليومية بأمان؟

يرى مؤسس الدولة المدنية العلمانية [جون لوك] أن الملحد خائن، ولا عهد له ولا مكان له في الدولة العلمانية «لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله.. فالوعد والعهد والقَسم من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفِكر فقط يُفكك جميع الأشياء»[1].

ويرى مؤسس الدولة الليبرالية الحديثة [جون ستيوارت مل] أن «التسامح التام يمتنع معه الاعتقاد في حقيقة مطلقة، وتمتنع معه الدوجما، ويموت عنده الدين»[2].

إذن حتى مؤسسو الدولة العلمانية والليبرالية لا يطيقون الملحد؛ لأنه في الأصل خائن، فلا يوجد رادعٌ يردعه ولا شيء مُقدس في حياته، ولذا أكبر مجرمي البشرية كانوا من الملاحدة

(1) رسالة التسامح، جون لوك، ص57.
(2) كتاب عن الحرية، ص8.

«ماو تسي تونج - ستالين - لينين - بول بوت» ويصنف هؤلاء الأربعة بأكبر أربعة مجرمين في تاريخ الجنس البشري!!

فالتسامح ليس على إطلاقه، ولا يجب أن تُنسينا أسباب التسامح الوجيه أن اللا تسامح لديه أسبابه الوجيهة هو الآخر[1].

بل إن فكرة التسامح تم استغلالها في نشر الرذيلة في فرنسا و إيطاليا، حيث كان يتم تسمية بيوت الدعارة ببيوت التسامح[2].

ولذا في عام 1987 سأل صحفي الرئيس بوش الأب " هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساويًا في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان". وأصبح رد السيد بوش مشهورا «لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنين، أو حتى اعتبارهم محبين للوطن هذه أمة موحدة تحت راية الله».

Atheist cannot be considered as patriotic citizen

إذن الملحد غير مقبول لأنه بلا خلق - لا يمكن التدليل ماديًّا أو جينيًّا على الأخلاق - ؛ ولذا فهو منافق كما يقول مؤسس الدولة المدنية جون لوك.

فالإلحاد هو طوفان فاجر في أزمان الكفر، وأرضه ونهايته الحتمية هي تقويض أركان النظام الأخلاقي وانهيار الأمم.

ولذا ما زال الملحد في أمريكا هو أكثر فئات المجتمع تعرضًا للاضطهاد، ويفوق في ذلك المسلم المتطرف والشاذ جنسيًّا؛ لأنه أكثر فئات المجتمع انعدامًا للأخلاق و إثارة للفتن وتقويضًا لأركان النظام![3].

وطبقًا للواشنطون بوست في بحث آخر مستقل، فإن الملحد شخص لا يحظى بالثقة ولا القبول؛ لأنه شخص حاقد، نزق الأخلاق وفاسد![4].

(1) مايكل انجلويا كوبوتشي في كتابه أعداء الحوار صـ13.

(2) مايكل انجلويا كوبوتشي في كتابه أعداء الحوار صـ39.

(3) newsjunkiepost.com/2009/09/19/research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority.

(4) http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/ 2011 /02 /18/ AF qgnwGF_story_1.html.

فأكثر دول العالم علمانية وتقانة تنظر للملاحدة أنهم حثالة، ويأتي الملاحدة العرب ويطلبون منا أن نحترمهم!!

من نِعم الله

الفرق الجوهري بين الإنسان وبقية الكائنات على وجه الأرض هو الترميز، فالإنسان يستطيع ترميز الأشياء - أي إطلاق التسميات على الموجودات وعلى المُجردات-، وتعلّم الإنسان الترميز في التفكير والتعبير، وإطلاق اسم على كل شيء يرمز به إليه كانت أولى خطوات الإنسان على سطح هذا الكوكب.

وإطلاق الأسماء على الأشياء الموجودة وعلى الأشياء المُجردة كالفكرة والخيال والرياضيات التجريدية كان أول ما قام به الإنسان![1].

أليس هذا هو ما أخبرنا به القرآن الكريم، فأول مِنحة إلهية لآدم كانت تعليمه الأسماء كلها، هذه المزية العجيبة التي كانت تفتقدها حتى الملائكة.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: 31 - 33].

وهذه النعمة العظيمة هي التي أتاحت للإنسان كل علم وفكر وحضارة وبناء، ونقل خبرات واسترجاع معلومات، وتشفير معرفة!

نِعمة أُخرى!

إذا أردت الجلوس على كرسي المكتب، فأنت تحتاج إلى منطقة ضبط الزوايا orientation association area في الفص الجداري من مخك، وتوجد هذه المنطقة في كلٍ من نصفي المخ، وهما مختلفتان في الوظيفة لكنهما مكتملتان؛ فالمنطقة اليسرى مسئولة عن تحديد وإدراك

(1) Scientific American dec,2001.

صورة ثلاثية الأبعاد لجسدنا المادي، واليمنى مسئولة عن تحديد موضع جسمنا وعلاقته بالوجود المحيط، وبالتالي فالمنطقتان تُحولان المعلومات الحسية الخام إلى صورة حية لأجسامنا وللوجود من حولنا، ولابد قبل أن تجلس أن تقوم هذه المنطقة بدورها بدقة وكفاءة متناهية وإلا لن تستطيع حساب الزوايا والمسافات، وبالتالي لن تستطيع تحديد موضع جسدك وموضع الكرسي، ومن ثَم يمكن أن تسقط على الأرض بدلًا من أن تجلس على الكرسي، إن استقبال ومعالجة هذه المعلومات تتم بسرعة وكفاءة تعجز عنها عشرات الكمبيوترات فائقة السرعة التي أنتجها العقل الإنساني الواعي المُفكر المُبدع!

هذه أبسط نعمة تستخدمها ولا تشعر بأهميتها!

والمطلوب منك إذا كنت مُلحدًا أن تُسلِّم بأن المادة اللاواعية اللاعقلانية أفرزت هذه الصورة من قمة الوعي والضبط والمعايير الدقيقة في نعمتين بسيطتين من نعم الله المباشرة على الإنسان، فالحمد لله على نعمه، الحمد لله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] [1].

البريونات.. الداروينية تمشي على رأسها

هل تعلم أن أضعف الكائنات وأبسطها وأكثرها بدائية على الإطلاق هي آخرها ظهورًا على الإطلاق.....

البريونات - لا تقطن إلا في أدمغة الإنسان والثدييات العليا - وهي كائنات أصغر بكثير وأبسط بكثير من الفيروسات.

وهي المسئولة عن مرض جنون البقر ومرض كورو في البشر وهو مرض قاتل.

المعضلة هنا: لو أخذنا بمعايير الداروينية والشجرة الخاصة بها، وتاريخ الكائنات فإن البريون يصبح خير دليل على أن شجرة التطور تسير على رأسها.... فعندما يظهر أبسط كائن على الأرض من أعقد كائن ولا يعيش إلا على أعقد كائن، فهذا يدل على أن الحقيقة والواقع والعلم والتجربة في جهة والداروينية في جهة أخرى تمامًا.

(1) أنا تتحدث عن نفسها د. عمرو شريف.. مكتبة الشروق الدولية.

كريج فنتر

قال أحد كهنة الإلحاد: إن حياة الخلية توجد في الجينوم - نواة الخلية- ولو أُزيلت النواة لماتت الخلية، بل لقد قام كريج فنتر بتصنيع الخلية!

الرد: هذا الكلام يُسبب لمتخصص في البيولوجي ذبحة صدرية.

ما علاقة حياة الخلية بنواة الخلية أو الجينوم؟

إن إزالة نواة الخلية enucleation هو عملية تقوم بها المراكز المتخصصة في جميع البلاد والنجوع الآن، ولا تؤثر إزالة النواة في حياة الخلية، وتظل الخلية حية شهورًا طويلة بعد زوال النواة إلى أن ينفد ما عندها من بروتين حيوي لا تستطيع إعادة تخليقه في النواة، ساعتها فقط تموت الخلية، إذن إزالة نواة الخلية ليس إزالة الحياة عنها بل هو مجرد عملية إخصاء للخلية لا تستطيع بعدها الخلية أن تُنجب بروتينات، لا أكثر..!!

بل إن كرات الدم الحمراء التي تُغذي الإنسان بالأوكسجين تتنازل عن نواتها وعن كل المادة الجينية داخلها حتى تتفرغ لحمل الاوكسجين، ويوجد داخل كل كُرية دم حمراء 280 مليون جُزيئة هيموجلوبين، ومن أجل هذا الهدف الحيوي جدًّا قامت بتفريغ نفسها من كل العُضيات الخلوية حتى تحمل أكبر قدر ممكن من الأوكسجين.

الحياة شيء والمادة شيء آخر تماما يا ملاحدة!!

يستحيل أن يقوم البشر جميعًا بكل ما امتلكوا من عقلٍ واعٍ ومكائن عملاقة وسواعد جبارة، وغوص في العلوم وقصد ونية ووعي وهدف أن يخلقوا ذبابةً واحدة ولو اجتمعوا لها، فالحياة شيء والمادة شيء آخر تمامًا يا كهنة الإلحاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73].

أما تجربة كريج فنتر فهي عملية تقطيع كروموسوم الميكوبلازما Mycoplasma - أصغر كائن حي على الإطلاق- واستبداله بقطع كروموسوم نوع آخر من الميكوبلازما، إنها عملية

إنزاء حصان على حمار لكن على مستوى الميكرو، ولا يوجد في التجربة أي شيء مُلفت إلا أن البشر يُعجبهم الجديد دائمًا...!!

إذا كان يتم الترويج للإلحاد بهذا الجهل المطبق، والغثاء التافه، بل ويوجد من يصدقهم فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها...!!

الفيروس يتحدى الملحدين

تقوم الفلسفة المادية الإلحادية على التبسيط والإختزال ثم التعقيد، لكن هذه الرؤية شيء وفلسفة العلوم شيء آخر تمامًا، فالفيروس أدق الكائنات الحية ما زال حيًّا بيننا إلى الآن ويُهدد بانتظام أعقد الكائنات الحية، وعندما ينجح الفيروس في خداع الـ antibodies ويصل إلى نواة الخلية فإنه يقوم بعملية سطو hijack لا تستطيع أعقد الأنظمة البيولوجية أن تواجهه، حيث يقوم الفيروس بتقطيع نفسه على بوابات نواة الخلية الحديدية حتى يتمكن من اختراق ثقوب البوابات ثم ينطلق الحمض النووي الخاص به إلى داخل النواة، وبعد هذه العملية التي تبدو انتحارية، يقوم الحمض النووي الخاص به والذي دخل ممزقًا أن ينسخ نفسه داخل شريط الحمض النووي الخاص بالنواة آلاف المرات، ثم بعدها ينتقل إلى الريبوسوم خارج النواة ليُكمل عملية التصنيع، ثم يعود إلى النواة مجددًا ليصبح فيروس متكامل في مهمة من أعجب وأذكى وأمكر وأخبث المهام على الإطلاق، وبعد 48 ساعة من نجاح فيروس واحد في الوصول إلى نواة خلية فإن النواة تصبح محملة بـ 10 آلاف فيروس مستنسخ حيث يُوقف جميع العمليات الحيوية التي تقوم بها النواة ويكرس كل جهدها في نسخ نفسه فقط..

وفي هذه اللحظة العجيبة والفريدة والتي تحدث داخل كل إنسان ربما كل بضعة أيام، تصل إنذارات من الجسم بوجود مُحتل قام بعملية سطو كاملة على إحدى الخلايا فتقرر جميع الخلايا المجاورة للخلية المنكوبة أن تنتحر سريعًا حتى لا تتحول إلى مصانع لإنتاج جحافل فيروسية جديدة، وبهذه الطريقة تبدأ مقاومة الجسم للمحتل، وما زكام الأنف وانسداد الجيوب الأنفية إلا مخلفات المعركة هذا في حال كان الفيروس تنفسيًّا، إن أبسط الكائنات الحية يحمل بصمة الخلق وعظيم الصنع فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ [السجدة: 7].

ومن الفيروس إلى البعوضة أبسط الكائنات المرئية، نجد أن للبعوضة مائة عين في رأسها، 48 سن في فمها، ثلاثة قلوب في جوفها بكل أقسامها، لها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها، لها ثلاثة أجنحة في كل طرف، مُزوّدة بجهاز حراري يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء، وظيفته:يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه، مُزوّدة بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان، وما يحس به كالقرصة هو نتيجة مص الدم، مُزوّدة بجهاز تحليل دم فهي لا تستسيغ كل الدماء، مُزوّدة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جدًّا، مُزوّدة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى كيلومتر. إن الرؤية المادية الإلحادية والتصور الاختزالي لظهور الكائنات الحية هي فلسفة كهنوتية لا علاقة لها بالعلم ولا ببديهيات المنطق، إن الإيمان بالإلحاد يتطلب بانتظام إنكار بديهيات عقلية ومنطقية أقسى من أشد الديانات إغراقًا في الوثنية.

الإنسان ذلك المتمايز

«كل كائنات العالم الحية لا تعدل موت إنسانٍ واحد» هذه العبارة في قمة الميتافيزيقيا وفي قمة الإيمان بالروح الإنسانية، وإن لم يكن للروح الإنسانية وجود فإن أي كائن حي يعدل أي كائن حي آخر ومن بينها الإنسان، ولا يستطيع إنسان مهما أُوتي من إلحاد وفجور أن يُسوى بين الإنسان والحيوان من منظور مادي، بل هو حتمًا يُقر من داخله بقيمة الوجود الإنساني وبمغايرته لكل الكائنات الحية مجتمعة، إن قيمة الإنسان لا تتأتى إلا من خلال الروح التي يحملها، وما الجسد المادي إلا دابة الروح والعباءة التي تتسربل بها، ولذا يقول الشيخ الشعرواي- رحمه الله-: «إن سرَّ الإنسانية يكمن في الروح وهي لحظة حمل الأمانة والتكاليف الشرعية والاختيار الحُر».

ما الفرق بين إبادة حضارة بأكملها وغسل يد واحدة وما يترتب عليها من موت ملايين الباكتريا، لو كان الإنسان مجرد مادة ما استوعب الفرق، وما فهم معنى القتل و إزهاق النفس، إن قتل ملايين الكائنات الحية لا يعدل قتل إنسان واحد، ولا وجه للمقارنة أصلًا لأن الإنسان يمتاز بالروح، وجريمة القتل هي إزهاق لهذه الروح!

بل ولا يشعر الإنسان بسمو نفسه إلا بحرمان جسده المادي من الشهوة، إن للذات الإنسانية وجود مستقل وقيمة مستقلة عن الوجود المادي المحدود بحدود المادة وقوانينها!

هذه بديهة منطقية لم نحتج لهذه المقدمات عليها لولا أن الملحد يكفر بها، إن أصل كفر الملحد هو إنكار البدهيات والسفسطة على الفرعيات، حتى ننسى البدهيات وننشغل معه بالفرعيات، فتصبح البديهة موضع شك!

إن الإلحاد يعترف مسبقًا بـأنه يعجز عجزًا كليًّا عن تحليل ظاهرة الوجود الإنساني وظاهرة الخير والشر والقداسة والنجاسة والقيمة، فلو كان الإنسان ابن هذا العالم ما بدا فيه شيء مُقدَّس ولا نجس!

الإسلام هو العقل

الإسلام لا يمنع مِن عمارة الأرض، بل يحث عليها ويجعلها مقربة إلى الله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: 41]، بل وكما ورد في الحديث الصحيح: **«إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»**.

والإسلام لا يمنع من استخدام العقل، وطلبُ استخدام العقل والتدبر وَرَدَ أكثر من ثلثمائة مرة في القرآن الكريم، بل إن معجزة الإسلام الأولى كانت في الأصل عقلية تستنفر العقل وتحثه على السير والنظر.

والإسلام لا يمنع من البحث في الخَلق والحياة ودراستها، بل لقد حضَّ الإسلام على ذلك ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ﴾ [العنكبوت: 20].

يقول المستشرق [سبنسر فاميري]: «لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسمًا عربيًّا، ولا يستطيع عالم طبيعي أن يحلل ورقة من الشجر أو يفحص صخرة من الصخور دون أن يتذكر درسًا عربيًّا، ولا يقدر أي قاضٍ أن يبت اليوم في خلاف دون أن يستدعي مبدأ أملته العرب، ولا يسع أي طبيب أن يتأمل دائرة أحد الأمراض المعروفة منذ القدم دون أن يهمس بآراء طبيب عربي».

بل إن الجامعات الأوربية عاشت 600 عام على ترجمات العرب كما يقول [جوستاف لوبون].

بل إن الأمل الآن معقود على ثورة فكرية إسلامية خضراء تُزيح الترهلات التي أصابت العلم من جراء كهنة الإلحاد، وسدنة المادية، فالعلم الطبيعي عِلمُنا، ونحن مَن وضع أصوله الأولى، ونحن مَن سيُرجع الأمر فيه إلى نصابه متى شاء الله.

فليس ثمة مُبرر للإلحاد لا عقلي ولا علمي ولا مادي ولا ديني، فالإسلام هو أنقى أديان التوحيد، وهو الذي أقام على القرون جيلًا من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ لولا نهوض هذا الدين بهم، بل إن أطول حضارة على الإطلاق هي حضارة الإسلام 1200 سنة، ولن يَصلِح آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلح به أولها.

الحضارة هي توظيف التراب

المسلم عند سيد قطب متحضرٌ بالضرورة؛ إذ الإسلام بتعريفه هو الحضارة، وبالتالي فلا تحَضّر خارجَ الإسلام ما دام الإسلامُ هو الحضارة.

لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ الجواب عند سيد قطب واضح جلي: إن السؤال من أصله خاطئ..، المسلمون تخلفوا لأنهم تركوا الإسلام، فينبغي دعوتهم إليه من جديد، فنُعلمهم معنى لا إله إلا الله باعتبارها منهج حياة، أما غيرهم فلم يتقدموا، بل هم في جاهلية جهلاء؛ لأن الإسلام هو الحضارة.

أما عند مالك بن نبي فالأمر غير ذلك.. ليس الإسلام هو الحضارة، الإسلام وحي نزل من السماء بينما الحضارة لا تنزل من السماء وإنما يصنعها البشر عندما يُحسنون توظيف ملكاتهم في التعامل مع الزمان والمكان، الإسلام لا يصنع الحضارة بذاته، وإنما بالبشر عندما يفهمونه على حقيقته فيتولون التفاعل الجاد به وخلطه بالتراب والزمان والمكان فيصنعون من ذلك حضارة.

الحضارة الإسلامية هي هذا التفاعل الجاد بين الإنسان والتراب والوحي.

قد ينجح المسلم في هذا التفاعل فيصنع الحضارة، وقد يفشل وهو المسلم وينجح غيره أي

غير المسلم فينتج حضارة بقيم ونيات غير إسلامية؛ لأنه أحسن التعامل مع سنن الله توظيفًا جيدًا لعقله وللوقت وللتراب[1].

الخلاصة: الحضارة هي توظيف جيد للتراب!

العقل الغربي

العقل الغربي رسميًّا هو الذي قام بتفريغ قارتين كاملتين من البشر - الأمريكتين -، العقل الغربي هو الحرية المنتصرة والحضارة التي تعبر الصحراء وعبء الرجل الأبيض، وكل هذه الصور الكاذبة التي تصورها الدعاية الأمريكية لتفريغ قارتين كاملتين من سكانهما، والتي كانت في الحقيقة أن الآف الجنود الأمريكان يطاردون في البرد القارص السكان الأصليين الرُّحَّل الذين كانوا يخطون آخر خطواتهم نحو الانقراض، إنه مشهد لن ينساه التاريخ، وهو مشهد لم يوفره إلا العقل الغربي، لقد أنهك العقل الغربي العالم كله بحربين عالميتين أبادتا حوالي 5 % من سكان العالم بسبب نزاع إلحادي مادي أوربي- أوربي.

وإبادة ملايين السكان في أوربا... يهود أوربا.. ومزارعي روسيا (الكولاج).. وغجر ألمانيا... والسلاف والأقليات الأثنية..، هذه الإبادة الشمولية لم يوفرها سوى العقل الغربي، واليوم وبعد مرور 500 عام من الاستعمار و50 عام من صندوق النقد الدولي نعيش في عالم مُحطم مُشوه ربع شبابه عاطلون عن العمل، يتحكم الشمال في 80 % من الثروات مع أن تعداد سكانه لا يتجاوز 20 % من سكان العالم، ومنذ تحكم العقل الغربي في مجريات الأمور أصبحت نهاية التاريخ أمرًا مقبولًا حرفيًّا، وتراكم لدى البشر أسلحة تكفي لتدمير الأرض عشرين مرة مع أن مرة واحدة فقط هي التي ستحدث، لقد أدى العقل الغربي إلى نهاية الحياة نظريًّا.!!

وكما قال [جارودي]: «فإن الحضارة الغربية قد خلقت قبرًا يكفي لدفن العالم».

يقول [نيتشه] على لسان [زرادشت] عن الإنسان الذي أفرزه النموذج الغربي: «واقعيون نحن بغير إيمان ولا خرافة، فابسطوا صدوركم لكن واأسفاه إنها صدور خاوية».

(1) منقول من: راشد الغنوشي.

ويبكي ت.س. اليوت قائلا: «أين ضاعت الحكمة التي ضيعناها في المعرفة.. أين ضاعت المعرفة التي ضيعناها في المعلومات..».

فالهيمنة الغربية هي هيمنة داروينية نيتشوية فاوستية مادية في بدايتها وفي نهايتها، وهي تحاول أن تجعل من العالم مادة استهلاكية وغايتها تحقيق أقصى إشباع ممكن.

والمادة هي المركز الكامن في النموذج العلماني كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري، فالمادة هي أصل الأشياء، ولذا فقد تمت تصفية الإنسان لحساب المادة ولحساب المصلحة، ولذا ظهر الإنسان ذو البعد الواحد عند [هربرت ماركوز]، وتم تفكيك الإنسان ودخل الجميع القفص الحديدي على حد تعبير [ماكس فيبر] أو السجن الحديدي على حد تعبير [زيميل]، فالإنسان ذرة لا معنى لها..، وقد اختصر رئيس التشيك [فاكيلاف هافل] كل ذلك في عبارته الرائعة حين قال: «حينما أعلنت العلمانية الإنسانية أنها حاكم العالم الأعلى، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بُعده الإنساني».

هل التأمل الديني مجرد هلاوس

كان [سيجموند فرويد] يرى أن التأمل الديني هو مجرد هلاوس عُصابية جماعية، وكانت هذه الرؤية أحد أركان إلحاده..

إلى أن جاء عالِم الأشعة التشخيصية في جامعة بنسلفانيا [آندرو نيوبرج] Andrew Newberg، وقام برصد أدمغة العُبَّاد من مُختلف الديانات لحظة التأمل الروحي والتعبد، باستخدام تقنيات التصوير الإشعاعي المتقدمة للمخ مثل FMRI - PET - SPECT Camera، وأثبتت أبحاثه أن ما يستشعره الإنسان من طمأنينة، هي إدراكات لوظائف مُخيَّة سويَّة، وليست مجرد هلاوس وتوهمات.[1]

وأثبتت نتائج الرصد أن آليات إدراك المُخ لا تستنكر الغيبي، بل إن إدراك الغيبي هو وظيفة مُخيَّة سليمة تمامًا، وهنا يتجلى السؤال المحوري: إذا كان الإنسان ابن المادة وتحكمه قوانين المادة فكيف استوعب اللامادة؟ وكيف كان هذا الاستيعاب تصورًا مُخيًّا سليمًا وليس عُصابيًّا؟

(1) أنا تتحدث عن نفسها..د. عمرو شريف ص71.

ودماغ الإنسان بما فيه من نشاطٍ عصبيّ لا يخطئُ ماديًّا، بل يتبعُ كلَّ القوانينِ الفيزيائيةِ الصحيحةِ ولا يتمردْ على سُننِها، فهو يدور في إطار حتمية مادية لا تتبدل ولا تتغير، والسلوك المادي لا يفرز تصورا غير مادي و إلا كانت الحتمية المادية لغوًا فارغًا.

فمن أين أتت إذًا تلك الرؤية غير المادية التي يُمثلها ذلك السلوك المادي السليم؟

ولو قال الملحد: هذه رؤية نتجت عن حالاتٍ نفسيةٍ وعاداتٍ وتقاليد. نُجيبه: لكنك لا تؤمنُ أنها حالةً نفسيةً للروح بل هي حالةٌ ماديةٌ لا يمكنُها أن تُخَطِّئ حالةً ماديةً أخرى!

وأمام هذا الإشكال لابد أن تنهار المادية كرؤية واحدية للوجود!

الإلحاد هو خلل عصابي

الإلحـاد يؤدي إلى خلل عُصابي neurosis وهوس نفسي وبارانويا سيكولوجية... هذا ما أثبتـه مؤخرًا أستاذ الطب النفسي بجامعة نيويورك بول فيتز paul vits فقد قام بول فيتز بإجراء تحاليل مستفيضة على ملاحدة العصر الحديث، وتوصل من خلال أبحاثه إلى أن الملحد مُصاب بخلل نفسي عُصابي neurosis.

وأودع هذه الأبحاث في كتابه faith of the fatherless ,the psychology of atheism.

وهذا الخلل العصابي سببه أن الملحد يرى العالم من حوله مُجرد مادة، والإنسان مجرد لطخة بروتوبلازمية تافهة تسري عليها قوانين المادة وحتميات الطبيعة، وغاية الإنسان تحقيق أقصى إشباع ممكن، لكن هذه الرؤية تفشل في تحليل ظاهرة الوجود الإنساني، فالإنسان ليس مُفصل على طراز داروين، بل ولا يشعر الإنسان بقيمته إلا عندما يسمو على الماديات، ويترفع على الشهوات، و إذا كان الإنسان ابن الطبيعة فكيف بدأ بمعارضة الطبيعة التي نشأ منها، كيف لابن المادة أن يتمرد على المادة التي أنتجته، إن للإنسان معنى آخر لا علاقة له بالرؤية الإلحادية المادية الساذجة، ولا يأتي الإيمان بمركزية الإنسان وقيمته وسموه إلا بالإيمان بمُطلق أعلى يتجاوز المادة.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الرائع رحلتي الفكرية ص 198 ما يلي: «كنت أجلس مرة أمام التليفزيون البريطاني، وشاهدت برنامجًا من برامج الأحاديث وكان

يجلس على المنصة رجل وزوجته وأطفالهما، مع إضافة بسيطة للغاية وهي عشيق الرجل الذي يعيش معهم تحت سقف نفس المنزل ولكن بموافقة الزوجة والأطفال، وقد واجه الجمهور إشكالية حقيقية وهي أن جميع أعضاء الاسرة موافقون على هذا الوضع الشاذ، فمن ناحية الموافقة وهي الشرط الأساسي والوحيد لأي علاقة جنسية في العالم الغربي فهي موافقة جنسية تتم باتفاق طرفين ولذا فهي شرعية، لا شأن للمجتمع بها، ولكن من ناحية أُخرى يوجد الشذوذ الذي يسم هذا الوضع، ولكن لا توجد قاعدة متجاوزة «دينية أو أخلاقية» يؤمن بها الجميع، ويمكن الوقوف عليها والإهابة بها ويمكن أن تزودهم بمعيارية ما، وكلما كان أحد الحاضرين يحتج على شيء كان الزوج الذي أحضر عشيقه ليعيش معه يرد بكل ثقة بأن زوجته موافقة وسعيدة وأن أولاده أيضًا موافقون وسعداء وأي تدخل في شئونهم سيكون إهدارًا لحريتهم وحقهم في الاختيار».

إن الإلحـاد هو المذهب الوحيد على وجه الأرض الذي يتيح لأتباعه أن يفعلوا كل شيء وهم في حِل من كل شيء، لا يوجد مذهب على وجه الأرض يقول لك: افعل كل الفواحش فأنت في حِلٍّ من كل شيء. إلا الملحد والشيطان.

إن الإلحـاد هو دين الشيطـان تم التـأسيس له كمذهب عقلي.

خرافات الإلحاد الجديد

هناك مجموعة من الخرافات الرائجة في علم النفس، ما زالت إلى اليوم تتلبس بلبوس العلم الصحيح، وتجد لها انتشارًا كبيرًا عند العوام وبعض المثقفين، ويستغلها بعض كهنة الإلحاد الجديد في بعض أُطروحاتهم، وسنتعرض سريعًا لبعض هذه الخرافات من كتاب أشهر 50 خرافة في علم النفس، تأليف مجموعة من كبار علماء النفس والأطباء النفسيين في العالم، سكوت ليلينفيلد وستيفن جاي لين وجون روشيو وباري بايرستاين، إصدار كلمات عربية للترجمة والنشر، طبعة 2012.

الخرافة الأولى: علم التنجيم يحدد سمات الشخصية وانفعالاتها العاطفية.

الرد: علم التنجيم عديم الجدوى في التنبؤ بسمات شخصيات الأفراد. ص263

كذب المنجمون.

الخرافة الثانية: الأطفال الذين تعرضوا لاعتداء جنسي يتحولون إلى شواذ عند الكِبر.

الرد: لا يتحول الافراد الذين تعرضوا لاعتداء جنسي في الطفولة إلى ارتكاب جرائم اعتداء جنسي عند البلوغ فهذه خرافة، ونسبة الشواذ بينهم هي نفس النسبة بين الذين لم يتعرضوا لاعتداء جنسي. 263

فلا وجود للحتمية النشئوية.

الخرافة الثالثة: التأمل واليوجا لهما فوائد جوهرية في تنقية الذهن وتفريغ العقل الباطن من شحنات الضغط الزائدة.

الرد: التأمل واليوجا لا تحقق تأثيرات نفسية أكثر فعالية من التي تحققها الراحة أو الإسترخاء قليلاً. ص178

الخرافة الرابعة: العلاج بالإبر لابد أن يكون على مسارات الطاقة المحددة في الجسم، وهذه المواضع يعرفها المتخصصون.

الرد: وجدت الأبحاث بصفة عامة أن العلاج بالإبر يكون على الدرجة نفسها من الفاعلية عند وضع الإبر في المواضع الخاطئة. ص351

الخرافة الخامسة: يعاني معظم الأفراد الذين تعرضوا للإعتداء الجنسي في طفولتهم اضطرابات حادة في الشخصية عن البلوغ.

الرد: هذه خرافة في الطب النفسي الحديث، والأفراد الذين تعرضوا لإعتداء جنسي في الطفولة نسبة الإضطراب في الشخصية عندهم هي نفس النسبة عند غيرهم. ص246

فلا وجود للحتمية النشئوية.

الخرافة السادسة: يجب إخراج الصدمة النفسية ومناقشتها مع طبيب نفسي وهذا شرط أساسي للعلاج.

الرد: رائد هذه الخرافة في علم النفس كان سيجموند فرويد صاحب المدرسة التحليلية،

واليوم ثبت بالأدلة القاطعة أن الذين أُصيبوا بصدمة ما تتحسن حالتهم دون مساعدة من أحد، وتتسم بعض طرق العلاج التي تتطلب معالجات مثل استخلاص المعلومات عن الأزمة بأنها غير فعالة أور بما تكون ضارة. ص349

بل تُشير الأبحاث التي أجراها دانيال فيجنر وآخرون عن كبت الأفكار إلى أن محاولة إخراج شيء ما من تفكير المرء تزيد في الأغلب من احتمالات عودته إلى حيز التفكير من جديد. ص 201

والإنسان لا يُقبِع الواقعة السيئة في عقله الباطن قاصدًا كما كان يتخيل فرويد بل هو بالفعل نسيها، وإلا فالوقائع الكبرى مثل الهولوكوست والزلازل والبراكين لا ينساها المرء بل تظن ماثلة أمامه لفترة طويلة، والواقعة السيئة لا علاقة لها بأي اضطراب حادث في الشخصية وبالتالي ثبت أن إخراجها يؤدي إلى مشاكل جديدة لا علاقة لها بالمشكلة الرئيسية الحادثة.

الخرافة السابعة: تنشئة الأطفال بأسلوب متشابه يجعل شخصياتهم متشابهة عند الكبر.

الرد: هذه خرافة الآن في علم النفس، فلا وجود للحتمية التربوية كما كان يتخيل التربويون. ص 229

الخرافة الثامنة: الجمال في عين الرائي.

الرد: هذه خرافة في علم النفس بل توجد نقاط كثيرة مشتركة بين الثقافات المختلفة فيما يتعلق بمعايير الجمال الحسي، ومقاييس الجمال العامة. ص 202

الخرافة التاسعة: المراهقة هي حتمًا مرحلة اضطراب نفسي؛ كتبت آنا فرويد - ابنة سيجموند فرويد- «أن يكون المرء طبيعيًّا خلال فترة المراهقة أمر غير طبيعي في حد ذاته»، ويُصوِّر الإعلام الغربي باستمرار والنفسيين الشعبيين أن سنوات المراهقة هي دراما عائلية مُثيرة.

الرد: لا توجد أُسس علمية لهذا الإدعاء، بل على العكس حدوث ذلك هو الاستثناء، وهناك حضارات بأكملها لا تعرف شيئًا عن المراهقة، مثل اليابان والصين والعديد من بلدان العالم العربي.ص89، 90

الخرافة العاشرة: يمر معظم الناس بأزمة منتصف العمر في الأربعينيات، وتحدث فيها الكثير من الاضطرابات والمراجعات.

الرد: هذه الخرافة مصدرها دور السينما، فقد أظهرت الدراسات المختلفة(بريم، ويثينجتون) أن أزمة منتصف العمر ليست إلا خرافة، بل إنها ربما تشهد ذروة الأداء النفسي السليم.ص93، 94

الخرافة الحادية عشر: يترك التبني تأثيرًا نفسيًّا سلبيًّا على معظم الأطفال.

الرد: يتمتع معظم الأطفال المتبنين بصحة نفسية جيدة. ص106

وهذا رد على الحتمية التربوية.

الخرافة الثانية عشر: معدلات ممارسة الشذوذ تزيد لدى الأطفال الذين ينشئون على يد آباء شواذ جنسيًّا.

الرد: لم يثبت أن الاطفال الذين ينشئون على يد آباء شواذ جنسيًّا يُقبلون على الشذوذ أكثر من غيرهم. ص106

وهذا رد آخر على الحتمية التربوية.

الخرافة الثالثة عشر: كلمة الكبت هي المفتاح السري للكثير من المشاكل النفسية.

الرد: قام العالِم النفسي الشهير ديفيد هولمز بمراجعة الأبحاث العلمية التي أُجريت خلال الستين عامًا الأخيرة، ولم يعثر على أي أدلة علمية تؤيد حدوث الكبت أو وجود شيء في الطب النفسي يُسمى الكبت، ومن ثَم اقترح ساخرًا هذه العبارة «تحذير: لم تُثبت نتائج الأبحاث التجريبية صحة مفهوم الكبت، وربما يكون لاستخدامه آثار خطيرة على التأويل الدقيق للسلوك الإكلينيكي». فالكبت ليس دافع يُحرِّك اللاشعور كما كان يعتقد سيجموند فرويد، وهذا ما أثبته ريتشارد ماكنالي والطبيب النفسي هاريسون بوب في بحث منفصل.ص124، 125

ونختم هنا بحقيقة أثبتها الطب النفسي مع غرابتها الشديدة، فقد أثبت الطب النفسي أن الأفراد الذي يرسمون على وجوههم باستمرار تعبيرًا أقرب إلى الابتسامة، يؤدي هذا التصرف

إلى الشعور بالسعادة فعليًّا وصحة نفسية جيدة، حيث يحدث للمخ تغذية رجعية لتعبيرات الوجه فتؤثر أمخاخنا بدورها في مشاعرنا. ص355

فما أجمل الأخذ بوصية رسول الله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[1]، فحتماً ساعتها ستشعر بسعادة حقيقية وليست مُصطنعة.

الحسد والعين أصبحا حقيقة علمية!

أحد الملحدين يستهزئ بالعين والحسد في المفهوم الإسلامي، وهذه مشكلة الملحد الأزلية، أنه يضع إلحاده في أحد الأركان، وكلما اتسعت دائرة العلم ضاق الخناق على الركن الذي يتواجد فيه إلحاده، مثلًا الأعضاء الأثرية كل يوم نكتشف أنها أعضاء جوهرية وكلما اتسعت دائرة العلم كلما اكتشفنا فوائدها، وهكذا كل إرهاصات الملحد لا تحتاج إلا شيء من العلم وقليل من الحكمة والتؤدة..

وبخصوص العين الحاسدة.. وهل العين فعلًا يخرج منها شعاع كما تقول الكتب الإسلامية، وهل لهذا الشعاع تأثير مادي فعلًا؟

في بحث متخصص تبين أن 93 % من طلبة كامبريدج كان بإمكانهم أن يشعروا بنظرات الآخرين.[2]

وقد أثار الباحث والمؤلف الإنجليزي الشهير روبرت شيلدريك Rupert Sheldrake أثار ضجة عام 2003 في الأوساط العلمية، عندما أجرى دراسات مستفيضة أثبت فيها أن الشخص بإمكانه معرفة أن هناك شخص آخر يُحدِّق فيه دون أن يراه Psychic staring effect، وأصبحت هذه المسألة ظاهرة علمية[3].

والإيمان بالحسد موجود في كثير من الديانات، لكن الإسلام تحدث عن العين، والتأثير المادي للعين، وكيفية مُداواة المعيون ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: 51].

(1) صحيح الترغيب والترهيب.

(2) كوتريل، وينر، سميث 1996.

(3) Scientific American. Retrieved 13 July 2013.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 1 - 5].

ومؤخرًا ظهرت تجربة الفوتونات الحيوية والتأثير عن بُعد، وهذه تجربة مُثبتة علميًّا، ولم يعد ثمة مجال للتناطح بشأنها، خاصةً بعد تجارب ستانلي كريبنر stanly krippner وتلميذه آلان كوبرشتين alan cooperstein في كلية سايبروك saybrook بجامعة ييل بأمريكا، فقد أثبتوا قطعيًّا وجود قدرة على التأثير الإيجابي أو السلبي عن بُعد بمجرد التركيز الثاقب - عين الحسود -.

بل إن د. بيرني سيجل B.Siegel ود. كارل سيمونتون carl Simonton وعالم النفس الأُسترالي إينسلي ميرز I.Meares يستخدمون رسميًّا الآن استحضار النية العدوانية في علاج السرطان، وقد قرأت أن الدكتور المسيري رحمه الله استخدم هذه الطريقة.

وأغرب ما في الموضوع أنه قد ظهر ما يُعرف بالتأثير السلبي على الآلات المادية والماكينات الصناعية بمجرد النظر إليها-عين الحسود- فيما بات يُعرف بتأثير الجريملين Gremlin effect، وقد أمضى العميد السابق لكلية الهندسة بجامعة برنستونPrinceton الدكتور روبرت جان Robert Jahn أمضى ثلاثين عامًا في بحث ما يُعرف بقوة النظرة في التأثير على الآلات Gremlin effect وشاركته في هذا البحث عالمة النفس برندا دون Brenda Dunne وقد توصلا إلى وجود تأثير فعلي على الآلات والمكائن، بل إن الفيزيائي الشهير وولفجانج باولي Pauli كان له تأثير جرميلين عالٍ إلى الحد الذي كان يدفع فريق العمل إلى إخراجه من المعمل حتى يُنهوا تجاربهم![1].

وقد أثبت جاك بينفينيست J.Benveniste تأثير الجريملين في بحث مستقل.

الحقيقة التي يجهلها الكثيرون أنه الإلحاد بات مذهبًا في أزمة!

كظم الغيظ أم تنفيسه

كان سيجموند فرويد يرى أن الغضب المكبوت قد يزيد ويستفحل، مثله مثل البخار داخل قِدر الضغط، إلى درجة يتسبب معها في حالات نفسية وعدوانية مفاجئة، وقال فرويد:

(1) أنا تتحدث عن نفسها..د.عمرو شريف (بتصرف).

إن سر العلاج يكمن في إخراج الغضب لا كظمه أو كتمه، وصارت هذه الرؤية أحد الأصول في الأعمال الروائية، فترى البطل يُخرج غضبه في نفس اللحظة بدون تردد، وصار التعبير عن الغضب أفضل صحيًّا من كتمانه، وظهرت الوصفات الشعبية للتعبير عن الغضب مثل الضغط على شيء إسفنجي بيدك، أو الطرق بالشاكوش أو توجيه لكمات متتالية للوسادة أو إشعال سيجارة.

وبعيدًا عن هذه الرؤية الفرويدية السطحية وهذه الوصفات الشعبية، أشارت الأبحاث إلى كذب فرضية التنفيس عن الغضب، فلِما يزيد عن 40 عامًا كشفت الدراسات أن دعم فكرة التعبير عن الغضب تزيد في الواقع من معدلات العنف، لذا فقد ثبت علميًّا أن التعبير عن الغضب لا يُنفس عن المشاعر المكبوتة لكنه يزيد من حدتها ليس إلا.[1]

فالصراخ في وجه الطفل المشاغب لا يُحتمل أن يُشعرنا بتحسن، ناهيك عن أنه سيزيد الموقف سوءًا.

يقول العالم النفسي سكوت لينيفيلد:» فماذا لا تزال خرافة التنفيس ذائعة إلى الوقت الحالي على الرغم من وجود أدلة قاطعة على أن الغضب يزيد من معدلات العنف؟

لابد من التأكيد على أن الغضب يتضاءل وحده بعد فترة قصيرة»[2].

تقول عالمة النفس كارول تافريس: «حان الوقت لكي نُطلق النار على فرضية التنفيس حتى نتخلص منها نهائيًّا»[3].

وهكذا يكون كظم الغيظ وعدم الغضب، هما العلاج النفسي الأمثل والأصلح لصحة نفسية وبدنية جيدة!

قال الله عز وجل في صفات المُتقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: 134].

(1) أبحاث ودراسات بوشمان وباومايستر وستاك، ولويس وبوشر، وليتريل، من كتاب أشهر 50 خرافة في علم النفس ص223.

(2) أشهر 50 خرافة في علم النفس، سكوت لينينفيلد، ص225.

(3) Tavris, C. television as a social issue pp.197.

وكانت وصية رسول الله ﷺ المتكررة بترك الغضب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «**لا تغضب**». فردَّد مرارًا، قال: «**لا تغضب**». رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**» رواه أبو داود.

وهكذ يكون علاج الغضب باتباع وصية الدين الحق، هو العلاج الأسلم والأكمل، بعيدًا عن هلاوس الفرويدية المادية!

العالم عشوائي طبقًا للكوانتم

أحد الآباء الأساقفة الملحدين كتب يقول: «وفقا لميكانيكا الكم، الكون عشوائي بالكامل»

يا حضرة الأب الكاهن مقولة أن الكون طبقا لميكانيك الكم عشوائي بالكامل هذه الكلمة فضيحة معرفية تستحق المحاكمة؛ لأن ميكانيك الكم يسير وفق قواعد وقوانين بل وتحكمة أسس إبستمولوجية ثبتت بطرق ميثودولوجية معلومة ومنضبطة، ولو كان ميكانيك الكم عشوائية مطلقة كما يتصور نيافة الأب الكاهن الملحد ما أصبح علمًا يتم تدريسه في كل جامعات العالم، ويتم الإستفادة من ظواهره في مناحٍ علمية كثيرة مثل شريحة الكمبيوتر التي تكتب نيافتك من خلالها الآن- فشريحة الكمبيوتر تعمل بالظاهرة الكمومية ولو كانت العملية عشوائية ما استفدنا منها في شيء نيافتك!-

بل إن كل ميكانيك الكم يسير وفق معادلات رياضية صارمة لا يحيد عنها مثل معادلة شرودينغر Schrödinger equation التي تصف الحالة الكمومية المعتمدة على الزمن، والتي تكاد تطابق قانون نيوتن الثاني في الفيزياء الكلاسيكية، أيضًا نيافتك هناك معادلة هايزنبرج Heisenberg equation ومعادلة بلانك اينشتاين Planck-Einstein equation وكلها تصف حالات كمومية مختلفة، وميكانيك الكوانتم يستحيل أن يخترق جدار بلانك فكل شيء يجري بضوابط محددة في العالم الكوانتي لا يتجاوزها ولا يحيد عنها ويمكن التنبؤ بتصرفات العالم الكوانتي طبقًا لمبدأ عدم اليقين لهايزنبرج وفي حدوده، فيا نيافة الأب الكاهن إياك ولبوس العلم الزائف باسم الإلحاد الدوغمائي!

الحتمية المادية

إنـك لم تُخلق إلا للخلود، وما حياتك على هذه الأرض إلا مرحلة (الدين)

إنـك حيوان، كن حجـرًا بين الأحجـار، أو دودة بين الديـدان (الإلحاد)

إنـك إنسـان خُلقت حُرًّا، مُكلفًـا، في كيانك قوًى لا حـدود لها (الدين)

إن سـوط الحتميـة الماديـة يُلهـب ظهـرك، فلن تعـدو قـدرك (الإلحاد)

إن الإسلام لم يضع في يد بلال أو عمار أو صهيب أسلحة وقنابل يواجهون بها بطش قريش، وإنما الذي أعطاه لهم الإسلام وجودهم الذي كان ضائعًا، وإنسانيتهم التي كانت ضالة، فأذلوا كبرياء قريش وسموا بأنفسهم وانهزمت أمامهم جبال المادية الطاغية وصارت بلا معنى، ولم يسُد المسلمون العالم إلا حين تحرروا من قيود العالم المادية، وعلموا أنهم مخلوقين لله، فالإنسان في ظل المادية يصير دودة لا إنسان ويخلق من الفلسفات ما يبرر به حيوانيته، فلا يؤمن إلا الإنسان الحر، وكلما ازداد الإنسان إيمانًا أدرك أن الإيمان ليس من انتاجه بل هو تلبية لنداء لا إكراه فيه، إذ لا يؤمن إلا الإنسان الحُر وفي وسعه أن يسد سمعه.

ولا يختلف مؤمن وملحد على أن المادية الإلحادية تُجرد الإنسان من إنسانيته، وترده إلى العالم المادي الذي تحكمه صيروره حتمية بلا معيارية ولا قيمة ولا معنى، وتُضيع الثروات الثمينة الكامنة داخله والتي لا تتحول إلى تطبيق وسلوك إلا بالاعتراف بمخلوقيته لله، إن المادية الإلحادية عدو يتربص بالإنسان، إنها عدو حاقد على الإنسان وعلى إنسانيته، إنها الشيطان متجسدًا في فلسفات وفرضيات وُجدت لتُبرر تعرية الإنسان وترديه إلى العالم المادي الحتمي، يقول كريستوفر مانيز Christopher Manes في كتابه the Green Rage: «لا يوجد مستند لرؤية البشر ككائن أرقي من غيره»، واعتبر الملحد الأمريكي جيمس لي James Lee أن البشرية طاعون متطور يجب استئصاله سريعًا قدر الإمكان، وفي سبتمبر 2010 قُتل جيمس لي حين كان متجهًا إلى موقع قناة ديسكفوري بصحبة ثلاث رهائن وبعض القنابل، حيث أن الشرطة لم تمهله وأردته قتيلاً، قبل أن يُنفذ مخططه الإلحادي بقتل أكبر عدد ممكن من البشر[1].

(1) http://abcnews.go.com/US/gunman-enters-discovery-channel-headquarters-employees-evacuated /story?id=11535128

إن الإنسان يتحرك في الحياة وهو يعلم يقينًا أنه ليس مُفصلًا على هذا الطراز المادي الحتمي، ويعلم يقينًا أنه هو المركز والطبيعة هي الهامش، إن الإلحاد ونقولها مدوية لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، الإلحاد شيء والإنسان شيء آخر، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب: 72]، فالإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش.

ما لا يعرفه الملحد عن تاريخ الإنسان الحقيقي..

أول قرية في التاريخ على الإطلاق لا يتجاوز عمرها 10 آلاف سنة - وهنا كلمة قرية تعني نجع صغير أو حارة بسيطة بمفهومنا المعاصر- ولا يوجد قبل 10آلاف عام أي دليل أثري على وجود الإنسان[1].

وظهرت سومر أول مدينة على الإطلاق، قبل 5 آلاف عام فقط.

والكتابة التي تعتمد على الحروف ظهرت على يد الشعوب السامية والفينيقية قبل 3500 عام فقط، وجاءت اللاتينية من الفينيقية![2].

ظهرت الحرب على الخيل لأول مرة قبل 2600 عام فقط من الآن، ولذلك لا توجد حضارة قبل هذا التاريخ، وإنما بلدان متفرقة!

وأول حضارة هي الفارسية 500 ق.م، ثم الاسكندر 323ق.م.، ثم الهان الصينية 50ق.م.، ثم الرومانية 117ميلادية.

هذا هو تاريخ الإنسان الحقيقي على هذه الأرض، بعيدًا عن بقايا عظام الداروينية، وأضراس الخنازير التي كانوا يتصورون أنها تنتمي لبشر ما قبل التاريخ وقاموا بعمل صور كاملة لهؤلاء البشر من خلال ضرس واحد، وتبين بعد عشرات السنين أنها أضراس خنازير برية لا أضراس بشر ما قبل التاريخ[3].

(1) كاتب هذا الكلام هو الملحد [ول ديورانت] في موسوعته قصة الحضارة مجلد 39 صفحة 7.
(2) أنا تتحدث عن نفسها..د. عمرو شريف ص256.
(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Nebraska_Man.

حقيقة حجم الإلحاد في العالم طبقًا لآخر الإحصاءات

تُظهِر أحدث الإحصاءات الرسمية للملحدين حول العالم، أن نسبتهم لا تتجاوز 2 % (2.01 % atheists) وهي في تراجع مستمر[1].

وأيضًا تشير أحدث الإحصاءات إلى أن نسبة الملحدين في أمريكا حوالي1.5 %[2].

لكن حقيقةً يمكن استيعاب الشك في دين نصراني يرى أن الإله قد انتحر مصلوبًا وعاريًّا في الصحراء من أجل تكفير خطايا البشر، ويتم أكل لحمه وشرب دمه بانتظام سنويًّا في العشاء المقدس - الأفخارستيا- .

ويمكن استيعاب الشك في دين قومجي يهودي لا يدخله غير يهودي الأبوين.

ويمكن استيعاب الشك في دين بوذي يؤمن بالروح ويكفر بخالقها.

ويمكن الانتقال بناءًا على ذلك الشك من مرحلة الإيمان إلى مرحلة اللاإيمان disbelieve وهذا الأمر الانتقالي يُشكِّل قاعدة عريضة من البشر وصلت في أمريكا وحدها إلى 20 % من عدد السكان بحسب الإحصاء السابق.

لكن أن يُقرِّر الإنسان أن ينتقل من الإيمان الديني إلى الإلحاد الذي هو إنكار الصانع، فهذا أمر في قمة الشذوذ المعرفي والعقلي والإحصائي ومن أندر النوادر!

ولذا يجب التفريق جدًّا بين الملحد atheist وغير المؤمن disbeliever.

فالملحد لديه بنية فلسفية تأويلية متكاملة فيما يختص بالحياة والوجود والماورائيات، ولذا فالإلحاد في هذا الإطار هو دين من بين الأديان!

أما عدم الإيمان فهو شك مرحلي طاريء يمكن تجاوزه أو الاستمرار عليه حسب عمق البحث ودرجة الشك.

وإن كان التسليم بأن خلق الكون والحياة والوجود عبر زفرات فأر أسيوي مزكوم أقرب

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_religious_populations.

(2) http://theweek.com/article/index/226625/the-rise-of-atheism-in-america.

منطقيًّا من زعم الملاحدة أن اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئًا عظيمًا من أروع ما يكون تمت معايرته بدقة، بقوانين وثوابت غاية في الضبط..... فمهما كانت سذاجة الدين الوثني وحماقته وتحريفه فهو أكثر منطقية ورقيًّا وعقلانية من خرافة الإلحاد، ولذا فالإلحاد في تراجع مستمر!

باسم الله والحمد لله:

يقول الشيخ أحمد الكبيسي حفظه الله: «قبل القيامة بدقائق سيخرج رجل بشيء بديع في القرآن لم يسبق إليه أحد، فالقرآن لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة».

وسأذكر لكم أحد هذه المعجزات في القرآن الكريم التي انفتحت للدكتور عبد الله دراز رحمه الله، وكانت للدكتور تجليات لم يُسبق إليها فقد كان مداومًا على كتاب الله.

يقول الدكتور رحمه الله: «القرآن الكريم كتاب أدبي وعقيدي في نفس الوقت وبنفس الدرجة، وتوجد وحدة أدبية لكل سورة قرآنية، وداخل هذه الوحدة الأدبية يتوافر التجانس والربط الطبيعي بين عشرات المواضيع في السورة الواحدة، وربما مئات المواضيع في نفس السورة كما في السور الطويلة.

ووحدة السورة عبارة عن سلسلة من الحروف والصوتيات البلاغية الأدبية تُخفي داخلها مواضيع متنوعة وأفكار مختلفة تُقدم مجموعة من الحلول للمشكلتين الخالدتين ألا وهما «المعرفة» و«السلوك».

هذه المواضيع المعروضة تمتاز بالإيجاز العجيب، والنقاء في التعبير، والتركيز الشديد في النفس، وجميع العلوم والفنون الإسلامية تستمد على الدوام من هذا المصدر قواعدها ومبادئها، وكان القرآن خلقًا للغة جديدة ولأُسلوب جديد فهو نظام أكثر تماسكًا من النثر، وأقل نظمًا من الشعر، في موسيقى خالدة تعلو المواضيع المطروحة تلو المواضيع في نفس السورة، بهيبة وجلال بلا تأرجح ولا اضطراب.

وفي وقت نزول القرآن كانت بعض المواضيع تتزايد بمعزل عن مواضيع أُخرى، وتُكوِّن تدريجيًّا وحدات مُستقلة بعد أن تنضم إليها آيات أُخرى نزلت بعدها، وأن بعضها كانت تُضاف هنا، والأُخرى تتداخل مع غيرها هناك، بحسب أمر الرسول ﷺ الذي كان يتلقاه بدوره من الروح القدس.

وعندما نُريد أن نُقدر جمال لوحة مرسومة لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق مها حيث لا نجد إلا ألوانًا متنوعة تتجاور أو تتنافر أحيانًا، بل يجب أن نرجع قليلًا إلى الوراء ليتسع مجال الرؤية وتحيط بالكل في نظرة شاملة، تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التركيب، فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورة من سور القرآن الكريم لنُقدِّر أبعادها الحقيقية، فهناك تخطيط حقيقي واضح ومُحدد يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة.

فإذا أخذنا في اعتبارنا التواريخ التي لا حصر لها - تواريخ نزول آيات القرآن الكريم- والتفتيت المتناهي في نزول الآيات، ولاحظنا أن هذا الوحي كان بوجهٍ عام مرتبطًا بظروف ومناسبات خاصة، فإن ذلك يدعونا إلى التساؤل عن الوقت الذي تمت فيه عملية تنظيم كل سورة على شكل وحدة مستقلة، وهذا التساؤل يضعنا أمام نقطة محيرة: فسواءًا افترضنا أن هذا الترتيب كان قبل أو بعد اكتمال نزول القرآن، فقد كان ينبغي أن يتبع إما الترتيب التاريخي للنزول، وإما الترتيب المنطقي البسيط المبني على تجانس الموضوعات، إلا أن السور القرآنية تتنوع موضوعاتها ولا تخضع لأيٍ من الفرضين أو الترتيبين السابقين، مما يدعونا إلى ترجيح وجود تصميم مُعقد يكون قد وُضع في وقت سابق لنزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ، ولكن سرعان ما نميل إلى الانصراف عن هذا الافتراض بسرعة؛ لأننا نرى مدى الجرأة والاستحالة التي ينطوي عليها وضع نظام سابق حسب ترتيب تحكمي بين فقرات حديث سوف يطلب إلقاؤه أو إظهاره على مدى عشرين عامًا، وبما يتناسب مع عديد من الملابسات والظروف التي تستدعي هذا الحديث والتي لا يمكن توقعها أو التنبؤ بها، غير أن السُّنة تؤكد لنا هذا الإفتراض الغريب وتؤيده، فالواقع أنه فور نزول الوحي على الرسول ﷺ كان كل جزء منه صغيرًا أو كبيرًا يوضع في السور التي لم تكن قد اكتملت بعد وفي مكان محدد من السورة، وفي موضع رقمي من آياتها وفي ترتيب لم يكن دائمًا هو الترتيب التاريخي.

وبمجرد وضع الآية أو الآيات في موضع ما بقيت فيه إلى الأبد، دون أن يطرأ عليها تحويل أو تصحيح، من هذا نقول أنه لابد كان هناك تصميم لكل سورة، فضلًا عن تصميم أو خطة

عامة للقرآن في جملته بمقتضى كلٍ منهما، كأن كل وحي جديد يوضع في مكانه توًا بين آيات هذه السورة أو تلك من السور المفتوحة.

وكأن القرآن كان قطعًا متفرقة ومرقمة من بناء قديم، كان يُراد إعادة بناؤه في مكان آخر على نفس هيئته السابقة، وإلا فكيف يمكن تفسير هذا الترتيب الفوري والمنهجي في آنٍ واحد، فيما يتعلق بكثير من السور؟

ولكن أي ضمان تاريخي يستطيع أن يتحصل عليه الإنسان عند وضع مثل هذه الخطة إزاء الأحداث المستقبلة، ومتطلباتها التشريعية، والحلول المنشودة لها، فضلًا عن الشكل اللغوي الذي يجب أن تُقدم به هذه الحلول، وتوافقها الأُسلوبي مع هذه السورة بدلًا من تلك؟

وكيف يمكن مجرد تجميع وتقريب هذه القطع المبعثرة بعضها من بعض بدون تعديل أو لحام أو وصلات- رغم تنوعها الطبيعي وتفرقها التاريخي-أن يجعل منها وحدة عضوية متجانسة يتوافر فيها ما نرجوه من التماسك والجمال؟ ألا يصدر مثل هذا المشروع، وقد بلغ هذا المبلغ من الطموح، إلا عن حلم خيالي، أو عن قوة فوق قدرة البشر؟

ألا نستنتج أن اكتمال هذه الخطة وتحققها بالصورة المرجوة، يتطلب تدخلًا من قوة عظمى، تتوفر فيها القدرة على إقامة هذا التنسيق المنشود؟

فإذا كانت السورة القرآنية من نتاج هذه الظروف، تكون وحدتها المنطقية الأدبية في نظرنا معجزة المعجزات، والواقع الأكثر إعجازًا أنه قد يصعب في بعض السور التمييز بين الفكرة الرئيسية والأفكار الثانوية والنواة المركزية للسورة، وقد نجهل حتى الظروف التي استدعت التجميع بين هذه المواضيع لشدة الحبكة النهائية في السورة كبناء متكامل موضوع في زمن سابق على نزول القرآن، فالأجزاء التي ستتجاور مُجهزة مقدمًا بطريقة معينة بحيث يتزاوج بعضها مع بعض، كل هذا مع تنوع الموضوعات واختلاف البعد الزماني الذي يفصل بين كل موضوع وآخر، إن هذا التطور إذن كان متفقًا مع خطة تربوية وتشريعية موضوعة في وقت سابق، في إجمالها وفي تفصيلها، بمعرفة مُنزل الوحي سبحانه وتعالى على هيئة إطارات محددة بنوازل معينة لتشكيل وحدات متكاملة من تخطيط مزدوج نهائي لا يمكن أن يصدر عن علم بشر»[1].

(1) مدخل إلى القرآن الكريم، د.محمد عبد الله دراز -بتصرف-.

مسألتان ما أكثرهما اليوم

قال الإمام اللالكائي - رحمه الله -: «فما جني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة!».

ولم يكن لهم قهر ولا ذلّ أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة، يموتون من الغيظ كَمَدًا ودَرَدًا ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً..حتى جاء المغرورون ففَتحوا لهم إليها طريقًا، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلًا، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرَفها من الخاصة والعامة[1].

قال الشاطبي - رحمه الله -: «قال الغزالي في بعض كتبه: أكثرُ الجهالات إنما رُسّخت في قلوب العوام بتعصبٍ جماعةٍ من جهّال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدّي والإدلال، ونَظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء، فثارت من بواطِنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المُتلطفين محوهَا مع ظُهور فسادهَا»[2].

هذا هو الأصل الذي نزعمه، ولولا أن ظهر شراذم الملاحدة في بلادنا وفتنوا أحداث الأسنان، ما خططنا سطرًا واحدًا في تسخيف مذهبهم الساقط جملةً وتفصيلًا، لكنها مشيئة الله النافذة من قبل ومن بعد، فكلما اقترب الزمان كلما ظهرت أمارات الكفر السريع والتشكك العاجل، و إلا فإن الأصل عندنا ألا نحكي الشبهة، ولا نُساعد على انتشارها!

قال أبو قلابة رحمه الله: «لا تجالسوهم- أي أصحاب البدع - ولا تخالطوهم.. فإنه لا آمن أن يفسدوكم أو يلبسوا عليكم كثيرا مما تعرفون».

قال ابن قدامة رحمه الله: «كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع الى كلامهم».

وقال أبو عثمان الصابوني بعد ذكر أهل البدع: «ويرون صَون آذانهم عن سماع أباطيلهم

(1) شرح أصول الاعتقاد 1 / 29.
(2) الاعتصام للشاطبي 1/ 494.

التي إذا مرت بالآذان وقرت فى القلوب ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت».

وقال الذهبي رحمه الله فى ترجمة ابن الراوندي: «وكان يلازم الرافضة والملاحدة.. فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم. إلى أن صار ملحدًا وحط على الدين والمله».

قال الذهبي رحمه الله فى ترجمة ابن عقيل حيث نقل عنه قوله: «وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علمًا نافعًا». فعلق الذهبي بقوله: «كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة فيأبى حتى وقع فى حبائلهم وتجسر على تأويل النصوص نسأل الله السلامة».

قال سفيان الثوري رحمه الله: «من سمع ببدعه فلا يحكها لجلسائه.. لا يُلقيها فى قلوبهم»، أوردها الذهبى وعلق عليها بقوله: «أكثر أئمة السلف على هذا التحذير يرون أن القلوب ضعيفة والشُبه خطافة».

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما ناظرت أحدًا علمت أنه مقيم على بدعه»، وقال الإمام البيهقى معلقًا: «وهذا لأن المقيم على بدعته قلما يرجع بالمناظرة عن بدعته».

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً.. أخذ يعارضك فيه لما قام في نفسه من الشبهة.. فأعطه إياه وإلا فما دام معتقدًا نقيض الحق لم يدخل الحق الى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل فامحه أولًا ثم اكتب فيه الحق».

ولذا كان منهجنا في هذا الكتاب التخلية قبل التحلية، فتحدثنا في الفصول الأولى عن الشبهات ثم آيات الله في الخلق؛ نسأل الله الثبات والسداد!

الشيطان يكمن في التفاصيل..

نصيحة أخيرة:

لا يستطيع الملحد أن يدخل لك إلا من باب السفسطة في الفرعيات، واللعب على وتر التفاصيل!

لذا كُن حَذِرًا ورُده بسرعة إلى الأصل، لا تجعله يعبث ببدهياتك وضروراتك العقلية بدخوله في التفاصيل، بل كن أكثر ذكاءً ورده أنت إلى الأصل، فينكسر وتطيش كل سفسطاته الفرعية..

ولك في أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - القدوة والمثل فحين ناظر النمرود في قضية الألوهية حاول الخبيث أن يلعب على الفرعيات و يُسفسط في التفاصيل، فأعاده إبراهيم إلى الأصل فبُهت الذي كفر، وانتهت المناظرة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 258].

فقد اعتبر النمرود أن مجرد إعدام الأشخاص هو قُدرة مطلقة على الإماتة، ومجرد رحمتهم هو قُدرة مطلقة على الإحياء، ولو تنزَّل معه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وظل يشرح له الفرق بين القدرة المطلقة والقدرة النسبية المحدودة الموهوبة إلى الشخص، لظن الجالسون أن في قضية الألوهية البدهية محض التباس، فالشيطان يكمن في التفاصيل!

عندما يتحدث الملحد عن طاقة الفراغ الكوانتي المشحون بالجُسيمات، انتقل مباشرةً إلى ما هو مصدر الفراغ الكوانتي.

يقول الكاهن الملحد طاقة الجاذبية يمكن أن تؤثِّر في لحظة الانفجار الكبير، يكون السؤال: وما هو مصدر طاقة الجاذبية؟

يقول الكاهن الملحد: سوالب الكون وموجباته ربما تساوي الصفر، يكون السؤال أُخلق لنا قانون (-) + (+)= صفر، أو قُم بتفعيل قانون كهذا.

الملحد لا يملك حُجة مُستقلة على كفره، لا يمتلك علمًا يُخرج الكفر، وإنما يتغذى الملحدون باستمرار من رحم السفسطة حينًا والمضاربة حينًا آخر، فشككوا الناس في العقل والحق والخير والشر والعدل والظلم.

فالإلحاد هو دين الشيطان تمت أدلجته، وإعادة صياغته والتأسيس له، كمذهب عقلي معاصر..!!

الخاتمة

أكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم، فما معنى الخيروالشروالصواب والخطأ والنجاح والفشل والمعنى واللا معنى والقيمة والغاية ومصدر القوانين؟ لماذا الآن وليس قبل ذلك.....؟ ماذا قبل ذلك...؟ هذه أسئلة خارج نطاق العلم، ليس لعجزالعلم أوقِصر أدواته بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معًا..!!

الدين جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالعلم، فالعلم هو فقط تحليل للظواهر بغية تفسيرها والإنسان لم يَتَبَنَّ العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة، وإعداد بعناية وعظيم صنع وروعة خلق، ولم يفعل العلم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين، ثم حصد الجوائز نتيجة الكشوف العلمية، فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ، والانضباط والمصداقية التي لولاها ما قام العلم..

مَن الذي يقف خلف القضية ككل؟!

الله يقف وراء قصة العلم كلها.

والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب..

وقضت حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير....

وفي غفلةٍ من الزمان ظهر الإلحاد الجديد بعباءة جديدة وملأ صياحه الأودية، وقام بالتكريز- التبشير - به كهنة الإلحاد الجديد بجميع طقوس الكهنة وثياب الكهنوت، وقوانين كنسية تخالف البدهيات العقلية، وتُرجّح الفرضية على اليقين، والظن الضعيف على الظن القوي، وظهرت أبخرة كنيسة الإلحاد الجديد ومجامر الشمامسة، وعلى ابن الطاعة تحل البركة، ولم يعد في الإمكان أفضل مما كان فآمِن بالإلحاد ثم استدل، المهم أن تصبح كافرًا وتنام كافرًا.

إن الإلحاد والدين يقومان على التأصيلات الميتافيزيقية، لكن الفرق أن الدين منتهَى خبره الحِس بينما الإلحاد ليس كذلك...

إن الإلحادَ يقومُ على حُجَّةٍ ماديةٍ - أزلية المادة -لا وجودَ مادِّيًّا لها.. وبالتالي لا وجودَ للإلحاد كحقيقةٍ مستقلةٍ أو كأيديولوجية قائمة، بينما يقوم الدين على حُجَّةٍ غيبيةٍ لها مُستندٌ ماديٌّ ووجدانيٌّ وفِطريٌّ وحِسيٌّ وعقليٌّ واستدلاليٌّ ونقليٌّ!

وبفضل الله يشمل هذا الكتاب اختصارًا لهذه الأبواب.

إن الشهادة لله بالخلق والأمر، هي الاستجابة المُثيرة للقضية الإنسانية الكُبرى، والاستجابة الوحيدة المتاحة للعقل والفطرة والوجدان والحس والنقل.

والحمد لله رب العالمين